تفسير إبن كثير

وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

يقول تعالى : (ولا يأتل) من الألية ، [وهي : الحلف] أي : لا يحلف (أولو الفضل منكم) أي : الطول والصدقة والإحسان) والسعة) أي : الجدة (أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل االله) أي : لا تحلفوا ألا تصلوا قراباتكم المساكين والمهاجرين . وهذه في غاية الترفق والعطف على صلة الأرحام; ولهذا قال : (وليعفوا وليصفحوا) أي : عما تقدم منهم من الإساءة والأذى ، وهذا من حلمه تعالى وكرمه ولطفه بخلقه مع ظلمهم لأنفسهم .وهذه الآية نزلت في الصديق ، حين حلف ألا ينفع مسطح بن أثاثة بنافعة بعدما قال في عائشة ما قال ، كما تقدم في الحديث . فلما أنزل االله براءة أم المؤمنين عائشة ، وطابت النفوس المؤمنة واستقرت ، وتاب االله على من كان تكلم من المؤمنين في ذلك ، وأقيم الحد على من أقيم عليه - شرع تبارك وتعالى ، وله الفضل والمنة ، يعطف الصديق على قريبه ونسيبه ، وهو مسطح بن أثاثة ، فإنه كان ابن

خالة الصديق ، وكان مسكينا لا مال له إلا ما ينفق عليه أبو بكر ، رضي االله عنه ، وكان من المهاجرين في سبيل االله ، وقد ولق ولقة تاب االله عليه منها ، وضرب الحد عليها . وكان الصديق ، رضي االله عنه ، معروفا بالمعروف ، له الفضل والأيادي على الأقارب والأجانب . فلما نزلت هذه الآية إلى قوله : (ألا تحبون أن يغفر االله لكم واالله غفور رحيم) أي : فإن الجزاء من جنس العمل ، فكما تغفر عن المذنب إليك نغفر لك ، وكما تصفح نصفح عنك . فعند ذلك قال الصديق : بلى ، واالله إنا نحب - يا ربنا - أن تغفر لنا . ثم رجع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة ، وقال : واالله لا أنزعها منه أبدا ، في مقابلة ما كان قال : واالله لا أنفعه بنافعة أبدا ، فلهذا كان الصديق هو الصديق [رضي االله عنه وعن بنته] .